مجلة جامعة التنمية البشرية / المجلد.٣ العدد.٣ آب ٢٠١٧: ص ص٧٨-١٠٠
DOI: 10.21928/juhd.20170820.03, e-ISSN: 2411-7757, p-ISSN 2411-7765

أسلوبية الدعاء النبوي في المستوى الصوتي *

مستل من الرسالة الموسومة – الأدعية النبوية دراسة أسلوبية

The Stylistics of The Prophetic Prayer at The Phonological Level

A Paper Taken From a Thesis Entitled The Prophetic Prayers a Stylistic

أ.م.د . عبدالوهاب عبدالله عبدالرحيم

جامعة السليمانية ، قسم اللغة العربية

Ass.Lecturer Abdulwahab Abdulla h Abduraheem

University of Sulaimany / Department of Arabic Language

E-mail: abdulwahab. abdurahim @univsul.edu.iq

هاورى محمد امين فرج

Hawre Muhamad Ameen Faraj

السيرة العلمية (CV):

الاسم: د.عبدالوهاب عبدالله الجروستاني، مواليد :١٩٤٩ السليمانية ، حصل على شهادة الماجستير سنة : ١٩٩٩ م ، و على شهادة الدكتوراه سنة : ٢٠٠٣ م ، من الجامعة المستنصرية ، أخذ لقب الأستاذ المساعد سنة ٢٠١١م، وشارك العديد من المؤتمرات ، ونشر بحوث أكاديمية و مقالات عديدة في المجلات العلمية والجرائد ، وهو الآن مدرس الأدب المقارن في الجامعة السليمانية ، قسم اللغة العربية.

* **البحث مستل من رسالة الماجستير للباحث الثاني**

الملخص

دلّلت الدراسة على إتّسام الدُّعاء النبويّ بالقصر والأيجاز، وتكثيف المعنى، وإنقسام جمل الدعاء النبوي في فواصل متساوية، وعمق المعاني الواردة في الدعاء النبوي وشموليتها. وهو من أهم سمات ومميزات الدعاء النبوي، ولئن كان الإيجاز سمة احاديث الرسول الغالبة، فإن للدعاء فيه المكان الأوفى والحظوة الكبرى، وذلك للتمكن من إعادة الدعاء أكثر من مرّة .

ويبدو أن هناك سببين رئيسيين جعلا من الإيجاز سمة بادية على أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم أحدهما تعليمي" حيث إن الإيجاز أنسب للتعلم والحفظ، وسرعة انتقال الكلام من الخلف الى السلف، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان معلّماً يريد تعليم أصحابه وأمته. والسبب الثاني نفسي لأن الدعاء يصدر عن تجميع النفس ولَمِّ شتاتها وجمعها في شيء واحد وهو المدعو به، ومن المسلم به بلاغياً أن الإيجاز إنما يكون عن تركيز الفكرة، وإندماج النفس فيها، وقوة في التوفر على حصرها والإحاطة بها.

Abstract

When adding du'aa 'to du'aa' or praying to the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him), it includes all that has been proven to the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him), which includes the definition of du'aa 'from the unification of Allaah and praising him or what was in it. The minimum of the life needs of the father.

The sound analysis in this study of the noble prophetic teachings - including the sounds and rhythms - revealed the aesthetic aspects in them, in addition to the detection of the emotional emotions and emotions that govern the creator, which leads to the selection of sounds and rhythms of particular, and it is not hidden that the sound material is the appearance The emotional emotion, and that this emotion by nature is the reason for the diversification of the voice by the output of the range or softness or intensity, the prophetic claim enjoys a sound of the sound of the error of the ears of the titans of high literature high, stems from the rhetoric of the order of the word, arrangement corresponds to vibration and emotions during prayer and ripples It is apparent that this is due to several things, the most important of which is that the sanctuary is higher than that in which he resorts to the representation of a detector or a certain representation. The person who is called -sabhanh- knows the need of the da'i and the imam of himself, and the nearest And to hear what he calls his senses, including that photography is used for the purposes of illustration or confirmation or adornment or otherwise, and these purposes is not suitable for the place of prayer, and the majesty of the invited and the fear of the Da'i. However, the few times that photography appears in the Prophetic Prophets, it is used as a distinctive method of expression and its facets of

meanings, through which the meanings are expressed through various artistic means (metaphor, metaphor and metaphor), which are the most important elements of the image In the texts of the Prophet's Supplication. Finally, we say that the prophetic supplications fall within the method of easy abstinence, in which the truth of my saying and my heart is true, and my verbal creativity is a moral style. There is no stuffing in the saying, and I have no meanings, and no infringement in the request.

المقدمة

إنّ الأدعية النبوية نص أدبي راقٍ بلغ الذروة من البيان والجمال، ولا يرتفع فوقه في مجال الأدب الرفيع إلا كتاب الله، وقد حوت أدعيته الشريفة، صنوف البلاغة، وألوان الجمال والفصاحة، وكانت من أبرز مظاهر عظمته، وأبرز دلائل نبوته، وعبَّرت أدقَّ تعبيرٍ عن سموِّ نفسه، صلى الله عليه وسلم، وأبانت عن المنبع العذب الذي نهل منه. وكان أسلوب التعبير عند الرسول صلى الله عليه وسلم ذا طابع خاص ونكهة مميزة، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: " كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا، يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ يُبَيِّنُهُ فَصْلًا، يَحْفَظُهُ مَنْ سَمِعَهُ "، وقد أفرد القدماء مصنفات خاصة بجمع وإحصاء ما ثبت نسبته الى الرسول صلى الله من تلك الأذكار والأدعية الشريفة، ومن أشهر تلك المصنفات: ، الدعاء لمحمد بن فضيل الضبي (المتوفى: ١٩٥هـ)،و عمل اليوم والليلة لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)،والدعاء لأبي القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) وشأن الدعاء للخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، والترغيب في الدعاء لعبد الغني المقدسي(المتوفى: ٦٠٠هـ)، والأربعين في فضل الدعاء والداعين لعَلِيّ بن الْمُفَضَّلِ الْمَقْدِسِيُّ (المتوفى: ٦١١هـ) ،اما نطاق البحث الموسوم اسلوبية الدعاء النبوي في المستوى الصوتي كالاتي :

*** التمهيد :- الدعاء لغة و اصطلاحا**

اهمية الدراسات الصوتية

*** المطلب الاول : الاستعمال الصوتي في الادعية النبوية**

*** المطلب الثاني : الملامح الصوتية :**

*** المطلب الثالث : الاصوات في سياق التراكيب :**

*** الخاتمة**

*** المصادر والمراجع**

مجلة جامعة التنمية البشرية / المجلد.٣ العدد.٣ اب ٢٠١٧ : ص ص٧٨-١٠٠
e-ISSN: 2411-7757, p-ISSN 2411-7765

أسلوبية الدعاء النبوي في المستوى الصوتي

* الدعاء لغة و اصطلاحا :

– الدعاء لغة :

يقول الجوهري:

"الدُّعاءُ:الرَّغْبَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فيمَا عنْدَه مِن الخيْرِ والابْتِهال إِلَيْهِ بالسُّؤَالِ"(١). ويقول ابن فارس في مادة (دعو): "وهو أن تميل الشَّيءَ إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك"(٢).أما عند صاحب (المحكم والمحيط الأعظم) فإنَّ الدُّعاءَ هو: "الرَّغْبَة إِلَى الله عز وَجل" (٣).وفي تاج العروس : "والدُّعاءُ: العِبادَةُ والاسْتِغاثَةُ"(٤).ويرى ابن سيده أن الدعاء هو:"طَلَب الطّالب لِلْفِعْل من غَيره وَقد دَعَوْت" (٥).

ومن تعاريف المُحْدَثين للدعاء" ورد في:(معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية) بأن معنى الدعاء في اللغة هو: "أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، وأيضا: الطلب، ويكون برفع الصوت وخفضه. كما يقال: دعوته من بعيد، ودعوت الله في نفسي، والجمع: أدعية" (٦).

– الدعاء اصطلاحاً :

قال الخطابي: "هو استدعاء العبد ربه –العناية–، واستمداده إياه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة "(٧).

وعُرِّف الدعاء كذلك بأنه: "إظهار غاية التذلل والافتقار إلىاللَّه، والاستكانة له (٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "دعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره ودفعه" (٩). ومنهم من يعرف الدعاء بقوله: "طلب الفعل من الأدنى إلى الأعلى، فالدعاء نوع من السؤال" (١).

---

(١) الصحاح ،ط٤ ، ابو نصر الفارابي ، ت.احمد عبدالغفور ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٧ ، ٢٣٣٧/٦.

(٢) معجم مقايس اللغة، ت.عبدالسلام هارون ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٩ ، ٢٧٩/٢.

(٣) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميدهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠ م، ٣٢٥/٢-٣٢٦ .

(٤) تاج العروس للزبيدي، ٤٧/٣٨ .

(٥) المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، ٥٧/٤-٥٨ .

(٦) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د.محمودعبد الرحمن عبد المنعم، جامعة الأزهر، دار الفضيلة، ١٩٩٩م ، ٨١/٢ .

(٧) شأن الدعاء،تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، ط٣، ١٩٩٢ م، ص٤.

(٨) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩، ١١/ ٩٥، ونسبه للطيبي.

(٩) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٩٥م، ١٠/١٥.

ومن أحسن ما قيل في تفصيل معنى الدعاء هو ما أورده أبو إسحق الزجاج حيث يقول : "ومعنى الدعاءِ لِلّهِ عزَّ وجلَّ على ثلاثة أضرب:فضرب منها توحيده والثناءُ عليه كقولك: يا الله لا إله إلا أنت، وقَولك: رَبَّنَا لَك الحَمْدُ، فقد دعوتَه بقولك ربنا، ثم أتيت بالثناءِ والتوحيد ....، فهذا ضرب من الدعاءِ، وضرب ثانٍ هو مَسْألة الله العفوَ والرحمة، وما يقرب منه كقولك : اللهم اغفر لنا، وضرب ثالث هو مسألته من الدنيا كقولك: اللهم ارزقني مالًا وولداً وما أشبه ذلك.وإنما سمي هذا أجمعُ دعاء لأن الإنسان يصدر في هذه الأشياءِ بقوله يا اللّه، ويا رب، ويَا حَي، فكذلك سمي دعاءُ"(٢).

*** اهمية الدراسات الصوتية :**

تقع الدراسة الصوتية في صميم دراسة النصوص الأدبية، فهي تُعدُّ المحورالأول للدخول الى النص الأدبي، لأن الصوت هو الوحدة الأساسية للغة التي يتشكّل منها النص الأدبي لأنّ الصوت أصغر وحدة في اللغة.(٣) وكذلك لأنّ التحليل الصوتي لهذه النصوص – بما فيها من أصوات و إيقاعات – يساعد كثيراً في الكشف عن الجوانب الجمالية فيها، بالإضافة الى ما فيه من كشف للانفعالات النفسية وللعواطف التي تحكم مبدعها، والتي تدفعه الى اختيار أصوات وإيقاعات بعينها، " وليس يخفى أنّ مادّة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وانّ هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت بما يُخرجُه فيه مدّاً أو ليناً أو شدّة " [٤]. ولما كان العمل الأدبي من نسيج متكامل من الأصوات، ونظام من التراكيب (النحو)، وما ينشأ من دلالات سياقية تتجاوز في كثير من الأحيان الدلالات المعجمية، فتُشكّل لغة الأدب المتميزة " ويكون الأداء الصوتي عنصراً في التحليل، عند التحويليين* في مسعاهم لضبط العلاقة بين ظاهر اللفظ ومضمون القصد " [٥]. لقد تميّزت الدراسات الأدبية الحديثة عامة والأسلوبية بشكل خاص باهتمامها بالجانب الصوتي وصولاً الى (المعنى الصوتي)" لما لقيه علم الأصوات من عناية ودراسة في ضوء علم اللغة الحديث، فالدراسات الأسلوبية تهتم بالمستوى الصوتي في شتى مناحي نسيج العمل الأدبي ومكوناته، فالأسلوبية الصوتية تعالج التكوينات الصوتية وفق خصائصها المخرجية والفيزيائية والتوزيعية، ويندرج تحت هذه التعبيرية الصوتية عدد من الظواهر" تبدأ من استغلال العلاقة الطبيعية بين الصوت والمعنى في ظاهرة المحاكاة الصوتية

---

(١) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د.محمود عبد الرحمن عبد المنعم، ٨١/٢ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه،تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨ م، ٢٥٥/١ .

(٣)ينظر:اللهجات العربية والقراءات القرآنية، دراسة في البحر المحيط، محمد خان، دار الفجر للنشر والتوزيع، المغرب، ٢٠٠٢م، ص٦٥ . * التحويليون:هم أتباع منهج في اللغة يهتم بالجانب التحليلي والتفسيريبدلًا من الجانب الوصفي، في محاولة جدية لتقديم صورة واضحة شمولية عن بنية اللغة وميزاتها الإنسانية، وعلاقتها بالعقل والفكر الإنساني. ينظر: المنهج التوليدي التحويلي عند تشومسكي، إعداد: زكريا كامل راجح مقدادي، *منتديات اللغات الحية › قسم اللغة العربية*،www.alajyalmakers.com .

(٤)إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ص١٦٩ .

(٥)نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، نهاد الموسى، دار البشير، عمان، ط٢، ١٩٨٧م، ص٨٠ .

(الأنوماتوبيا) وتنتهي الى دلالة المعنى الصوتي .[١] وعلى الرغم من أنّ الدراسة الصوتية تأخذ حيّزاً هاماً في الأسلوبية إلا أنّ هناك صعوبات قد تواجه الدارس الأسلوبي، فمن بين هذه الصعوبات انّ نتائج هذا الحيّز من الدراسة ما زالت تحوم حوله الشكوك،إذ لايمكن لأيّ باحث أنْ يجزم قطعاً أنَّ النتائج التي توصل إليها صحيحة ومتكاملة، كما تبقى التفسيرات التي تستعمل في هذا الحيّز تعتمد على مجموعة من العلوم اللغوية التي تجعل منها أكثر إقناعاً إذ تنحو بهذا الشكل منحىً علمياً خاصة إذا إعتمدت طريقة الإحصاء وكذا النتائج المنطقية التي توصل إليها علماء اللغة بالنظر الدائم والممارسة النقدية في نصوصها . فضلاً عن أنّ هذه المقاربة تُطبَّق على نصوص تتميّز بإستعمال خاص للّغة بوظائفها المتنوعة خاصة الجمالية، ذلك أنّ شعرية النص الأدبي تظهر في الوظيفة الجمالية للّغة التي تكسبها خصائص أدبية تكون موضوع الدرس الأدبي عموماً والأسلوبي خصوصاً .ومهما تنوّعت الطرق فإنّ الدراسة الصوتية صارت تحتلُّ مكاناً مرموقاً في المقاربات الشعرية سواء أكانت الأصوات مكتوبة على صفحة تُرى بالعين أو كانت متعلقة بما ينتجه متكلم من الأصوات أثناء تلفّظهِ، والنوعان معاً – المواد الصوتية أو الكتابية – يستثمران في دراسة الخطاب الشعري،فإذا ما أُستعملت كيفية النطق بالأصوات فهذا ما يُسمّى بالأسلوبية الصوتية .[٢] وتندرج ضمن هذا المبحث ثلاثة مطالب رئيسية:

المطلب الأول: الاستعمال الصوتي في الأدعية النبوية

تتمحور الدراسة الأسلوبية في المستوى الصوتي حول جانبين رئيسيين[٣]:

الأول: المكون الصوتي، ويشمل الأصوات – الصوامت والصوائت – طبيعتها وخصائصها وسماتها،ومخارجها،سواء الحروف الصوامت أو الحركات بنوعيها القصيرة والطويلة، حيث إنّ "مدار البحث في علم الأصوات: أصوات اللغة في سياقاتها، ويبحث عن طبيعتها ووظيفتها، أهي أصوات ساكنة أم حركات احتكاكية أم حنجرية مجهورة أم مهموسة " [٤].

الثاني: التشكل الصوتي، ويتكون من المقاطع، وما يتعلق بها، كالنبر، والتنغيم، والسجع، وحكم الوقف، والحذف، والإبدال، والإدغام، وأثرها في التشكل الصوتي، فهي " الملامح الصوتية التي تصاحب التركيب اللغوي كلّه كالنبر والتنغيم والطول (المد) والسكت (الوقف) " [٥].

---

[١]ينظر: دراسة أسلوبية في سورة الكهف، مروان محمد سعيد عبد الرحمن، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٦م : ٥-٦ .

[٢]ينظر: تحليل الخطاب الشعري – إستراتيجية التناص ، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ١٩٨٦م: ٣٢ .

[٣]ينظر: دراسة أسلوبية في سورة الكهف، مروان محمد سعيد عبد الرحمن : ٦-٧ .

[٤]من وظائف الصوت اللغوي، أحمد كشك، مطبعة المدينة، دار السلام، ط٣، ١٩٨٣م : ٧ .

[٥]المصدر نفسه والصفحة نفسها .

يضطلع الصوت في الأدعية النبوية الشريفة بدور هام في إكساب المعنى كثافة ودلالات تجعل من الدعاء أكثر تأثيراً وأوقع في النفس وأشد جذباً للمتلقي الذي هو في الأصل متشوق ومتلهف لتلقي كلّ ما يصدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم . ورغم انتماء الحديث النبوي – ومن ضمنها الأدعية النبوية– الى النثر الأدبي، وفضلاً على الظواهر الصوتية التي رصدتها البلاغة العربية القديمة كالجناس والسجع وغيرها من المصطلحات البلاغية العربية" فإنّ هناك ظواهر أسلوبية أخرى خاصة بالأدعية النبوية،وهي استعمال خاص للصوت بحيث يكتسب النص كفاءة كبيرة في تكثيف المعنى. وهذا لايعني أن الأدعية النبوية استعمال خاص أو فن مختلف مغاير عن النثر العربي، بل هو نص من صميم الأدب العربي .

كما ويستعمل الصوت في الأدعية النبوية استعمالاً متنوعاً بحسب السياق ونوعية الدعاء ومكانه وزمانه والحاجة المطلوبة من الدعاء، فمثلاً ظاهرة التكرار هي ظاهرة محسوسة في الأدعية النبوية – كما هي أيضاً في أحاديثه عامة – مع اختلاف الغرض في الحالتين،ففي حين أن التكرار في عموم أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم هو بغرض إفهام المتلقي، إلا أنه في أدعيته الشريفة هو بغرض التأكيد على الطلب والإلحاح على الرب لقبول دعائه واستجابة طلبه، فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ أَنْ يَدْعُوَ ثَلَاثًا، وَيَسْتَغْفِرَ ثَلَاثًا" [1].أو نرى في بعض الأدعية الأخرى إستعمالاً لبعض الإمكانيات التي تتيحها اللغة لعرض الحاجة والمطلب كاملة كحالة الاشتقاق الواضحة في دعائه صلى الله عليه وسلم الذي كان يوصي به أصحابه والذي يرويه لنا أبو بكر الصديق حيث يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْأَوَّلِ يَقُولُ: " سَلُوا اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالْمُعَافَاةَ، فَإِنَّهُ مَا أُوتِيَ عَبْدٌ بَعْدَ يَقِينٍ خَيْرًا مِنْ مُعَافَاةٍ "[2]. فالكلمات: (العفو والعافية والمعافاة)،كلّها تنتمي لمصدر واحد وقد توفّرَت بفضل الإشتقاق الذي يجمعها من حيث الشكل والمصدر ليدلَّ على تقاربها من حيث المعنى، ومن ثمّ يسهل على المتلقي فهم المعنى بيسر .

هذا التقارب من حيث المصدر تسانده ظواهر صوتية أخرى وهي التي يتوهم السامع انها من مصدر واحد إلا أنّ الحقيقة ليست كذلك وهذا ما يُحدِثُ لدى المتلقي اهتماماً يجعله يركّز أكثر على المعنى المراد وكأنّ هذا الإيهام يوجّهه الى المعنى توجيهاً، كما في دعائه صلى الله عليه وسلم بعد الصلاة : "... اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ..." [3].

فبين (مانع و معطي) وبين (أعطيت ومنعت) إيهام بالتقارب الصوتي مع ما فيها من توازي تركيبي وهو ما يجذب إنتباه المتلقي .لقد استفادت الدراسات اللغوية من البلاغة بل إعتبرت كثيراً من مفاهيمها مفاهيم إجرائية تُقدِّم العون الكبير لمطبِّق علم الأسلوب" يستعملها كي يكشف عن خصائص الأسلوب في النص الأدبي.وقد وجدنا الذين درسوا الأحاديث النبوية

---

[1] مسند الإمام أحمد، رقم الحديث: ٣٧٦٩، ٣١٢/٦، وقال محققوه: إسناده صحيح .

[2] السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠١ م، حديث رقم: ١٠٦٥١، ٣٢٥/٩ .

[3] صحيح البخاري، رقم الحديث :٨٤٤، ١٦٩/١ .

يطلقون عليها وصف الفصاحة، ومن هؤلاء الجاحظ حيث يقول في معرض وصفه لأسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الشريفة: "هو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه وكثُرَ عددُ معانيه وجَلَّ عن الصنعة ونزَّهَ عن التكلف.... وقد عاب التشديق وجانب أصحاب التعقيد واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر وهجر الغريب الوحشي ورغب عن الهجين السوقي فلم ينطق الا عن ميراث حكمة ولم يتكلم الا بكلام قد حُفَّ بالعصمة وشُيِّدَ بالتأييد ويُسِّرَ بالتوفيق " [١].وبعد أنْ يصف تأثير أسلوبه صلى الله عليه وسلم على السامع يقول: " ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا أصدق لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا ولا أفصح عن معناه ولا أبين في فحواه من كلامه " [٢]. لقد عرض الجاحظ في معرض وصفه لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم عدّة خصائص أسلوبية تُميّز الحديث النبوي الشريف، خاصة في العبارات الأخيرة عندما ذكر الفصاحة والمخرج والإبانة وهي مفاهيم لها علاقة مباشرة بالجانب الصوتي الذي نودُّ تحديده وتصنيفه إنشاءالله وفق ما تحدّده الإمكانات المنهجية

المطلب الثاني: الملامح الصوتية :

– الاصوات المفردة :

إنّ من المسلَّم به أنّ الصوت لا يحمل في ذاته معنىً إلا أنَّ استعماله في شكل معين وبنسب معيَّنة يُصَيّرهُ ذا دلالات تخدم المعنى وتُكثِّفُهُ" لذا فدراسة الصوت المفرد في التركيب – سواء أكان التركيب بسيطاً أو معقداً – يخضع لهذا الاعتبار. "والدراسة الفونيمية تعد أساساً من أسس الدراسة الأدبية عامة والأسلوبية الجديدة على وجه الخصوص، فالبناء الصوتي يظهر في بعض جوانب النص الأدبي من خلال الملامح الصوتية التي تبرز بشكل يلفت النظر إليها....إنّ طبيعة الأصوات المفردة مخارجها وصفاتها : من جهر وهمس وتفخيم وترقيق واحتكاك وانفجار، تشكل هذه السمات المرحلة الأولى للدراسات الصوتية التي يأخذ بها الدارس الأدبي (اللساني)، وخاصة الدراسة الأسلوبية الحديثة . "[٣].

فلكلِّ صوت من الأصوات سمات خاصة به تميّزه، وقد يشترك مع غيره في بعض هذه السمات، فتشكل له ملامح موحية وسمات قوّة وشدّة أوليونة وسهولة، فاستخدامها في النص الأدبي يعطي مؤشراً يوصل الى إدراك جماليات فنية أسلوبية والمتعة الفنية بها من خلال انسجام الصوت مع المعنى والسياق العام في تفاعل نشط،الذي يمثِّل ركناً من أركان الشكل للعمل

---

[١]البيان والتبين، الجاحظ، ٢٢١/١.

[٢]المصدر نفسه، ٢٢١/١ .

[٣]دراسة أسلوبية في سورة الكهف، مروان محمد سعيد عبد الرحمن :٧ .

الأدبي " فالانسجام هو أنْ يكون الكلام متحدِّراً كالماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أنْ يسيل رِقَّةً " [1]. إلا أنّ الأصوات المفردة بحدِّ ذاتها لا نجد لها كبير أثر " فإذا نظرنا إليها وحدها لم نجد إلا عملاً ضئيلاً قيمته ضئيلة " [2].

– الأصوات الجهرية والهمسية:

الأصوات المجهورة هي التي تسبب ب" اهتزاز الوترين الصوتيين اهتزازاً منتظماً يحدث صوتاً موسيقياً " [3]. إذن هو ارتفاع في قوة الصوت وشدته، ففيها من سمات القوة وطبيعة التأثير ما ليس في غيره من الأصوات. وهي (ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن)[4] . وتبرز الأصوات الجهرية في الأدعية التي فيها استعاذة بالله من الشر والعذاب بأشكاله وألوانه،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو:" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ" [5]. فمجموع حروف هذا الدعاء (٨٢) حرفاً، منها (٤٥) حرفاً تحمل أصوات جهرية وكما يلي : (م: ١٠)، (ن: ١٠)، (ل: ٩)، (ب: ٤)، (ع: ٣)، (ج: ٢)، (د: ٢)، (ذ: ٢)، (ر: ٢). أي أكثر من نصف حروفها، مما يُضفي جوّاً من القوة والرهبة على سياقها ومضمونها بحيث تعكس حقيقة الشر والعذاب المستعاذ منها متجسدة في كلمات مثل (أعوذ، عذاب، القبر، النار)، إضافة الى ما توحي به كلمة (اللّهمَّ) من استشعار عظمة وقوة المستعاذ به سبحانه وتعالى عن طريق تكرار الحرفين الجهريين (ل) ثلاثة مرات و(م) مرتين في كلمة واحدة . أو كدعائه صلى الله عليه وسلم عندما كان يخرج من البيت – فيما ترويه لنا أم سلمة– أنّه كان يقول: " اللّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ أنْ أَضِلَّ أو أُضَلَّ أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ أو أَظلمَ أو أُظلَمَ أو أَجهَلَ أو يُجهَلَ عليَّ " [6]. فمجموع حروف هذا الدعاء (٦٩) حرفاً، منها (٣٥) حرفاً تحمل أصواتاً جهرية، وكما يأتي : (ل: ١٦)، (م: ٤)، (ن: ٣)، (ع:٢)، (ض: ٢)، (ظ: ٢)، (ظ: ٢)، (ج: ٢)، (ز: ٢)، (ذ: ١)،(ب: ١) . مما يعطي وقعاً قويّاً مؤثّراً ولتَكْشِفَ أبعاد المخاطر التي يمكن أن يقع فيها الإنسان عند خروجه من المنزل ولتلفت الانتباه إليه محاولاً الاستعاذة بربِّ العباد من شرِّ العباد،فالخطورة عند الخروج من المنزل والاختلاط بالناس والتعامل معهم تكمن في أنْ تُسبِّبَ أنت بنفسك في زَلَلِ الناس أو إضلالهم أو ظلمهم أو أن تجهل عليهم، أو أن يقوموا هم بذلك معك، فكل كلمة في هذا الدعاء الشريف مشحونة بأصوات جهرية شديدة وقوية ولكنها في خط متوازٍ ومنسجمٍ مع المعنى مما يزيد تأثير وقعها في النفس.ومما يُلاحظ أيضاً في الدعاء الشريف تقارب الأصوات (الزاي والضاد والظاء) مما يوحي بأن تلك الشرور من (الزلل والضلال والظلم) هي متقاربة من بعضها أيضاً سواء كان من جانبنا أو

---

[1] الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٧٤م: ٢٦١ .

[2] النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الفكر العربي، بيروت: ٤٨ .

[3] الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط١٩٧٩،٥: ٢٠ .

[4] المصدر نفسه: ٢٣ .

[5] صحيح البخاري، رقم :٨٣٢، ١٦٦/١ .

[6] الكلم الطيب، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٧٧م، رقم:٦٠، ٩٠/١.

من جانب غيرنا، ومن جانب آخر له وقع صوتي يشكل إيقاعاً ضاغطاً مؤثّراً ليلقي بظلاله على النفس التي وقعت في آثام الزلل والضلال والظلم والجهل أعاذنا الله منها .

أما الصوت المهموس ف"هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ولا يُسمع لهما رنين حين النطق بهما"[١]،وهي: (ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، ه) [٢]."وهي أصوات تتسم بالليونة في طبيعته وتكوينه، وفيها بعض ملامح الحزن أحياناً، على العكس من الجهرية،فلا إهتزاز معه للأوتار الصوتية. ومن طبيعة الصوت المهموس أيضاً أنها تُشكّلُ عنصر راحة وتقريب" وكأنّ المتكلم يريد أنْ يقرب السامع منه حتى يهمس في أُذنه"[٣]، والرسول صلى الله عليه وسلم كان في أثناء دعائه ومناجاته لربِّه وتضرُّعه إليه من أقرب حالاته قرباً وإتصالاً بخالقه سبحانه وتعالى، ففد ورد في دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ سَهْلًا إِذَا شِئْتَ" [٤].

فتكرار كلمة (سهل) ثلاث مرات في هذه الكلمات القليلة بصوتيها المهموسين (السين) و (الهاء) مع ما تحملانها من عناصر السهولة واليسروالسلاسة واللين حيث تتلاقى المعاني المريحة والمحببة للنفس وتتوافق مع الأصوات المهموسة اللينة الرقيقة، فكلُّ ذلك تعكس المراد والمطلوب من الدعاء وهو طلب التسهيل من رب العباد، وكذلك فإن تكرار صوت (التاء) المهموس أربع مرات في هذا الدعاء القصير – وفي كلّ مرّةٍ منها كانت بمحل الضمير المخاطب والتي ترجع الى الله سبحانه وتعالى – تعطي الإنطباع بأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان موقناً بأنّ تسهيل الأمور الصعبة وجعل الحَزْنِ سهلاً لايقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى لذلك يوكل الأمر إليه ويهمس بحاجته وطلبه له وحده، فتكرار الأصوات كلّها ذات مغزى في الدعاء وجاءت كلُّها منسجمة ومتجانسة مع المقام والطلب .

–أصوات المد واللين:

عُني المحدثون من اللغويين بالبحث في (المَدْ) وأصوات اللين وضبطها لأنهملاحظوا أهمية هذه الأصوات في كل لغة من اللغات المختلفة، فهي أصل الكلام وشيوعه، وَأَيُّ أنحراف عن أصول النطق بها يبعد المتكلم عن الطريقة النطقية المألوفة بين أهل هذهِ اللغة . وقد أشار ابن جني الى ذلك في كتابه (سر صناعة الإعراب) فقال: "اعْلَمْ أنَّ الحركات أبعاض لحروف المد

---

[١]الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ٢٠.

[٢]إعتمد الباحث ترتيب المحدثين مثل: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية،ص٢٤، وكمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، (د،ط)، ٢٠٠٠م: ١٧٤، وهو تقسيم مخالف لما إعتمده أبي الفتح عثمان بن جني في سر صناعة الإعراب، تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٣م، ٦٨/١–٦٩، حيث رتب الأصوات المهموسة كما يلي: (ه ح خ ك ش ص ت س ث ف).

[٣]دراسة أسلوبية في سورة الكهف، مروان محمد سعيد عبد الرحمن: ٦٠ .

[٤]صحيح ابن حبان، رقم: ٩٧٤، ٢٥٥/٣، وقال محققه شعيب أرنؤوط: إسناده صحيح .

واللّين وهي الألف، والواو، والياء" [١] . "ويكاد يتفق علماء اللغة المحدثون وعلماء العربية القدامى في تحديد مصطلح هذه الطائفة من الأصوات، وإن اختلفوا في تسميتها فالذي عناه القدامى بأصوات اللين هو أصوات المد او الحركات الطويلة" [٢].

ويسمي الدكتور إبراهيم أنيس الأصوات الصائتة (أصوات اللّين) فقال "وأصوات اللين في اللغة العربية هي ما أصطلح القدماء عليه بالحركات من فتحة، وكسرة، وضمة وكذلك ماسموه بألف المد، وياء المد، وواو المد" [٣]،إذ أطلق مصطلح أصوات اللين على الحركات القصيرة وعلى الحركات الطويلة.أما الدكتور رمضان عبد التَّوّاب فقد أطلق على هذهِ الأصوات مصطلح الأصوات المتحركة فقال: " والأصوات المتحركة في العربية الفصحى ماسّماه نحاة العرب بالحركات وهي الفتحة والضمة والكسرة، وكذلك حروف المد واللّين كالألف في قال، والواو في يدعو، والياء في القاضي"[٤].

إن أصوات المد هي من الظواهر التي تُلاحظ في الأدعية النبوية الشريفة وطول ذلك المد حسب المكون الصوتي او ما يشكله التركيب (التشكل الصوتي)، وأثر ذلك في المعنى ومساهمته في توصيله للسامع . فظاهرة المد في الأدعية النبوية كما في القرآن الكريم وكما في غيرها لا تخلو من أسرار معنوية وتصويرية فنية ، ومن الأمثلة البارزة حول ظاهرة المد في الأدعية والأذكار النبوية الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم : "كلمتانِ خفيفتانِ على اللسانِ، ثقيلتانِ في الميزانِ، حبيبتانِ الى الرّحمنِ، سبحانَ اللهِ العظيم، سبحانَ اللهِ وبحمدهِ" [٥]. فالملاحظ في هذا الحديث الشريف أنَّ المدَّ الموسيقيّ الهادئ الممزوج بكثير من التفاؤل والسعادة" هو قريب الشبه بما نجده من أصوات المدِّ في فواصل (سورة الرحمن). فلو أننا قرأنا سورة الرحمن" لوجدنا فواصلها تنتهي بحرفين هما في الغالب الألف والنون، والألف صوت لين، ومدُّه له دلالته الهادئة. والنون حرف متوسط الجرس لا بالشديد ولا بالرخو، وهو شبيهٌ بأصوات اللين[٦]،ولو أننا أمعنا النظر في الحديث ثانية، لوجدنا أنه يحتوي على ما يسمى بالفاصلة الداخلية، وهي تكرار لفظ الفاصلة أو السجعة في حشو النص[٧]، وهذا ما حصل في الحديث، حيث تكررت الألفاظ: "كلمتانِ، خفيفتانِ، ثقيلتانِ، حبيبتانِ" بالاضافة الى ألفاظ السجع في الحديث: (اللسان، الميزان، الرحمن)، وبذلك يكون مجموعها في الحديث سبعة ألفاظ، وهذه إحصائية كبيرة جداً بالنسبة لحديث لا يتجاوز السطرين، فكل ذلك جاء تمهيداً وتشويقاً لهاتين الكلمتين، اللتين تنتظر السمع استقبالهما بكل غبطةٍ وسرور" لما تحملانِه من أجرٍ وثواب.

---

[١] سر صناعة الإعراب، أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم – دمشق، ط١، ١٩٨٥م، ١٧/١ .

[٢] ينظر: المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، د. عبد القادر مرعي خليل، جامعة مؤتة، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، عمان، ط١، ١٩٩٣م، ص١٢٦ .

[٣] الاصوات اللغوية: الدكتور ابراهيم أنيس، ص٢٩ .

[٤] المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٩٩٧م، ص٤٢ .

[٥] صحيح البخاري: ١١٤/٤.

[٦] ينظر: اللهجات العربية: ١٠٥.

[٧] ينظر: دير الملاك دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، محسن اطيمش، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة – العراق، بغداد، ١٩٨٦م: ٣٠٧.

ويرى الدكتور محسن أطيمش أن "حروف المد، تكسب المقطع إذا شاعت شيوعاً واضحاً، نوعاً من البطء الموسيقي، أو ما يمكن أن يوصف بالتراخي، كما أن إنعدامها، أو قِلّتَها، يسهمُ في إخفاء نمط من الموسيقى الأقرب الى السرعة" [١]، ومثال ما يخلو من حروف المد قولهُ صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: "لا إله إلا الله وحده، أعز جُنْدَهُ، ونصرَ عبدَهُ، وغلبَ الأحزابَ وحدَهُ، فلا شيءَ بعدَهُ" [٢]،فجوّ انتصار المسلمين وغبطتهم، وإنجاز الله وعده بهزيمة الأحزاب، ملائم لقصر العبارات في الحديث الشريف، فكأنها قفزات أو وثبات كلامية سريعة، وكما أن العطف بحرف الواو في الجمل تدلّ على العطف دون تراخٍ، بياناً للسرعة [٣]،وخلو الحديث من حروف المد، ساعد على الزيادة في الخفة والنقلة في الكلام.

المطلب الثالث: الأصوات في سياق التركيب

ونقصد به الملامح الصوتية التي تصاحب التركيب اللغوي كلّهوأثرها في التشكل الصوتي كالنبر والتنغيم، والسجع، وحكم الوقف، والإبدال، والإدغام، ونحن نُركّز في هذا المطلب على ملمحين فقط في الأدعية النبوية الشريفة لأنهما الأكثر بروزاً فيها وهما (التنغيم والسجع).

أولاً: التنغيم :

التنغيم هو: "ارتفاعُ الصوت وانخفاضهُ أثناء الكلام" [٤]، أو "هو تغييرات تنتاب صوت المتكلم من صعود وهبوط لبيان مشاعر الفرح،والغضبوالإثبات، والتهكم والإستهزاء، والإستغراب" [٥] .

"وتعد التنغيم من الظواهر الصوتية التي تهتم بها الدراسات الأسلوبية الحديثة لما يتركه من أثر في النص الأدبي وعلى المعنى" فتُوَجِّهُهُ أو تُغيّره الى معاني أخرى، إذ يمثل التنغيم عنصراً من عناصر التحويل"([٦]) ، " ويرتبط إرتباطاً أساسياً بالتغيرات التي تطرأ على تردد النغمة الأساس أثناء الكلام" [٧].وقد توصل الباحث سمير ابراهيم – من خلال استقرائهِ للمعاجم العربية – الى أن التنغيم لغةً تتجاذبهُ مفردات (ثلاث) (نغمة، وجرس، ولحن) ثم قال: "وهذا ما نركن اليه" [٨].ومن الباحثين من

---

[١] دير الملاك: ٣٠٧.

[٢] صحيح البخاري: ٣٣/٣.

[٣] ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: الدكتورة عائشة عبد الرحمن، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م، ص١٤١ .

[٤] مناهج البحث في اللغة: الدكتور تمام حسان، (د.ط)، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٥م:١٦٤.

[٥] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[٦]دراسة أسلوبية في سورة الكهف، مروان محمد سعيد عبد الرحمن :٤٤ .

[٧] دراسة السمع والكلام، سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٠م:٢٥٣ .

[٨] ينظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، (د.ط)، دار الضياء للنشر والتوزيع عمان – الاردن، ٢٠٠٠م: ٢٥ .

يقسمه الى "نغمٍ وتنغيم"، فأمّا التنغيم فقد مرّ، وأمّا النغم " فهو الأشكال المختلفة لدرجات الأنماط التنغيمية "[1]،أو "هو اجتماع الأصوات اللغوية تحت تنظيم الإيقاع في تموجٍ يعلو ويهبط، ويلين ويشتد، متلائماً مع تموج الفكرة والإنفعال" [2].وقد ميَّز علماء اللغة بين ثلاثة أنواع من التنغيم وهي:

أولاً:التنغيم الصاعد: وهو تدرج ارتفاع درجة الصوت من أسفل الى أعلى حتى المقطع الاخير، وغالباً ما يرتبط بالإستفهام مثل: ما إسمك؟

ثانياً:التنغيم الهابط: وهو تدرج نزول درجة الصوت من أعلى الى أسفل حتى المقطع الأخير، وغالباً ما يُستعمل هذا التنغيم في التقرير، ليدل على انتهاء الجملة مثل: قابلت عمك في السيارة.

ثالثاً:التنغيم المستوي: وهو إستواء درجة الصوت في وقوف المتكلم قبل تمام المعنى" كالوقوف على البصر، والقمر، في قوله تعالى: { فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ *[3]} [4].

ومن التنغيم ما أسمتهُ – نازك الملائكة – (بالتناغم الصوتي) : "وهو إحساس الشاعر بالحروف إحساساً خاصاً، بحيث تأتي في شعره متناسقة متجاوبة" [5]. ولتوضيح ذلك ننظر في قول علي محمود طه المهندس:

أنا الذي قدست أحزانهُ الشاعرُ الشاكي شقاء البشر [6]

فإنهُ في الشطر الثاني من البيت يورد أربع كلمات يغلبُ عليها جميعاً حرف "الشينويحسُ القارئ المرهف أن لهذا الحرف تأثيراً خفياً لأنهُ يمنحُ البيت موسيقى كئيبة كأنها شكوى إنسانية رتيبة[7]. وما ذهبت إليه نازك الملائكة، هو ظاهرة بارزة في الأدعية النبوية الشريفة فالإيقاعات في الأدعية النبوية الشريفة "ذاتُ ألوان تختلفُ باختلاف الغرض،.... ففي الدعاء قبل النوم نجد اللحن الهادئ الخفيف، وفي الدعاء عند الحرب نجد اللحن الحماسي العنيف" [8]. فلو نظرنا الى الدعاء النبوي الشريف الذي يوصي به من يأوي الى فراشه لكي ينام: "إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا

---

[1] لتنغيم في القرآن الكريم، سمير إبراهيم: ١١٩.

[2] الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، محمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، القاهرة، ١/٤٠.

[3] القيامة ٧–١٠.

[4] ينظر: علم الدلالة والمعجم العربي،عبد القادر ابو ريشة، وآخرون،ط١، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان – الاردن، ١٩٨٩م: ٤٠ .

[5] الصومعة والشرفة الحمراء – دراسة نقدية في شعر علي محمود طه: نازك الملائكة، ط٢، دار العلم للملايين بيروت – لبنان، ١٩٧٩م: ١٤٨ .

[6] ديوان علي محمود طه المهندس، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢م: ٥٨.

[7] ينظر: الصومعة والشرفة الحمراء: ١٤٨.

[8] الحديث النبوي مصطلحه بلاغته كتبه، محمد الصباغ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني،المكتب الإسلامي، ط٤، ١٩٨١م: ٩٥.

تَتَكَلَّمُ بِهِ"[١]، لوجدنا أن ما ذهبت اليه نازك الملائكة، محلهُ في هذا الحديث، و"سببُ هذهِ الموسيقى الساحرة في الجمل هنا، يعود الى: الانسجام في إيقاع الكلمات، والى هذا التآلف المدهش بين مخارج حروف الكلمات، فأنت لا ترى ازدحاماً بحرفٍ ثقيل في الحديث، ولا إنتقالاً مفاجئاً من إيقاع... فإنها تتناسب وجوّ النوم الهادئ الذي يهيئُ الجوَّ المأنوس المأمون، الذي يشعر صاحبهُ بالطمأنينة" لأنه يسلم نفسهُ الى الله ولأنه يتوجه ويلجأ اليه... ما أشبه هذا الحديث باللحن الحلو الذي يريحُ الاعصاب، ويمهد للنوم..." [٢].أضف الى ذلك ترديد كلمة (إليك) التي هي بمثابة قفل ينهي الجملة، وكذلك فإنّ الدعاء ختمَ بمخاطبة الله سبحانه بصيغة المفرد، وبأفعال تنتهي بالتاء المهموسة التي تلائم جو الإسترسال في النوم.[٣]

وقريب من هذا، قوله صلى الله عليه وسلم: "سيدُ الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنتَ، خلقتني وأنا عبدُكَ، وأنا على عهدكَ ووعدكَ ما استطعتُ، أعوذُ بكَ من شرّ ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتكَ عليَّ، وأبوءُ لكَ بذنبي، فانهُ لا يغفرُ الذنوبَ إلاّ أنتَ" [٤]. فلو أمعنا النظر في متن الحديث الشريف لوجدنا أن أحرفاً تكررت اكثر من مرة فيه، وهذا التكرار لم يصدر من شخص لا يحسن اللغة، بل هو صادر من شخص الرسول صلى الله عليه وسلم الذي هو أفصح من نطق بالضاد، وكان قد أوتي جوامع الكلم، فانه أدرى بخفايا اللغة واسرارها فلا بد أن يكون هذا التكرارُ ذا صلة بالمعنى. فاننا نجد (حرف الكاف تكرر (٧) مرات)، و(حرف التاء تكرر (٨) مرات)، و(حرف الباء تكرر(٩) مرات)، بالاضافة الى الأحرف التي تكررت بعدد أقل، إلا أنَّ الأحرف الثلاثة الأولى بارزة في الحديث.وهذه الأحرف الثلاثة من الأحرف الإنفجارية بإصطلاح المحدثين، ومن الشديدة باصطلاح القدماء.[٥] و" إنَّ تناوب الأصوات المجهورة في المقاطع، واستمرار طول الانفجار في الأصوات ينسق التنغيم، ويساعد على تداخله مع الصيغة المجهورة، ويعطي بيت القصيدة وجوده الفعلي... فاستمرار الجهر الحقيقي ما هو إلا استمرار للوظيفة الداخلية للمقاطع، وهو الجسر الذي يربط طول المقاطع، وهذا لا يعني أن الشعراء لا يهتمون بالأصوات المهموسة ولكن الصيغ المجهورة تشكل القمم الحقيقية، كما تشكل توقعات النغم..." [٦]. ولا شك أن الأستغفار هو ندامة على اقتراف المعصية، ورجوع الى الله، بعدما كان الإنسان غافلاً ولاهياً، فتكون هذه الأحرف الشديدة الإنفجارية، شبيهةٌ بصفارة إنذارٍ تقرعُ سمع المقصِّر، تجعلهُ يصحى من نوم الغفلة الذي كان فيه" ليدخل في الامان والراحة الذي يحدثهما الإستغفار والتوبة والإنابة. والله اعلم.

---

[١] صحيح البخاري، رقم: ٢٤٨، ٥٩/١.

[٢] الحديث النبوي، مصطلحه بلاغته كتبه، د.محمد الصباغ: ٩٢ .

[٣] ينظر: الحديث النبوي، مصطلحه بلاغته كتبه، د. محمد الصباغ، ص٩٢ .

[٤] صحيح البخاري: ٩٨/٤.

[٥] ينظر: الاصوات اللغوية، ابراهيم أنيس: ٢٣.

[٦] التركيب الصوتي في قصيدة – أنشودة المطر – د. قاسم البرسيم، مجلة افاق عربية العدد ٥ سنة ١٩٩٣، ص١١٤.

إنَّ اللغة العربية في الأصل هي لغة ايقاع، وقد بُنيت مفرداتها على أوزان واشتقاقات وَسَمَتها بهذه السمة. [١]ومن الأدعية النبوية التي تحدثُ حروفها نغماً وإيقاعاً ينبعث من بين الالفاظ، تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الإحرام: " لبيك اللّهم لبيك، لبيك لا شرك لك لبيك، إن الحمدَ والنعمةَ لك والملك، لا شريك لك " [٢]. فلو نظرنا الى الدعاء السابق، لوجدنا فيه جمهرةً من الكافات، قد سيطرت سيطرة كاملةً على مجريات الدعاء" وذلك بتكرارها (١٠) مرات، حتى كأننا لا نسمع سوى صوت الكاف يقرعُ سمعنا طوال قراءتنا للحديث، ولا ننسى أن الكاف من الأحرف المهموسة الانفجارية، [٣] حيث "يلعبُ تكرار الحروف دوراً عظيماً في الموسيقى اللفظية، فقد تشترك الكلمات في حرف واحد أو اكثر، ويكون لهذا الاشتراك فائدة موسيقية عظيمة، وقيمة نغمية جليلة تؤدي الى زيادة ربط الأداء بالمضمون الشعري" [٤]، التي تحدث دوياً عند النطق بها، ولعل هذه الشدة في ترديد هذا الحرف مناسب لذلك التجمع الغفير من الناس في الحج، وهم يرددون هذه الكلمات.

ويجعل الدكتور مجيد عبد الحميد جمالية هذه النغمات – المترتبة من جراء ترديد الحروف وتلاؤمها – مرتبطةً بحالةٍ نفسية في الإنسان حيث أنها ترتاح اليها، بقوله: "إن لجرس اللفظة، ووقع تأليف أصوات حروفها وحركاتها على الأذن، دوراً هاماً في إثارة الإنفعال المناسب، فالايقاع الداخلي للألفاظ، والجو الموسيقي الذي يحدثهُ عند النطق بها، يعتبر من أهم المنبهات المثيرة للإنفعالات الخاصة المناسبة، كما أن له ايحاءً نفسياً لدى مخيلة المتلقي والمتكلم على السواء" [٥]. بقي أن نشيرُ الى التقنية ودورها في إعطاء النص الأدبي تنغيماً وحُسناً يعود بالجمالية اليه، يقول د. مجيد عبد الحميد: "ولما كان اتفاق الفاظ الفقرات المسجوعة في الوزن الايقاعي، لاسيما الأخيرة منها، مع اتفاقها على الحرف الأخير، يتيحُ للكلام ركيزة نغمية، تتكرر من وقت لآخر، فتحدث توازناً موسيقياً فيه، وهو نفس ما تفعلهُ القوافي في الشعر" [٦]. وللسجعة أو القافية دورٌ كبيرٌ – في إبراز الجانب النغمي في النص الأدبي،[٧] وكذلك لهما ارتباط بالدلالة كما اسلفنا، ولأجل التثبت من ذلك نأخذ بعض الأحاديث

---

[١] ينظر: موسيقىالالحان الضائعة، د.محمد هيثم غزة، مجلة جامعة دمشق،المجلد١٧،العدد الثاني ٢٠٠١م، ص٢٠٩.

[٢] صحيح البخاري: ٢٦٩/١.

[٣] ينظر: جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، (د.ط)، دار الرشيد للنشر – بغداد، ١٩٨٠م، ص١٣٦ .

[٤] أبو فراس الحمداني – الموقف والتشكيل الجمالي، القاضي النعمان، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٥٠١، نقلاً عن: مجلة مجمع اللغة العربية الاردني، العدد (٥٨)، سنة ٢٠٠٠م، ص١٢٥.

[٥] الاسس النفسية لاساليب البلاغة العربية، ط١، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية العراقية – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م: ٤١.

[٦] الاسس النفسية لاساليب البلاغة العربية : ٦٣ .

[٧] ينظر: جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي، د. ماهر مهدي هلال: ٢٣٣.

الشريفة مثالاً على ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم، عندما دعا يوم الأحزاب على المشركين فقال: "اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ اللَّهُمَّ اهْزِمْ الْأَحْزَابَ اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ"[١].

فإنَّ لنغمة حرف (الباء) ذات الصوت الشديد المجهور[٢] تلاؤماً وتلاحماً مع الوقت الذي قيل فيه الحديث، ومع مدلوله، فلقد بدأ الرسول الكريم حديثه بالتطرق – وبكل ثقةٍ – الى الصفات الإلهية التي تفوق هزيمة الأحزاب، وهي (إنزال الكتاب، والسرعة في حساب الخلق) فليس بالبعيد أن يهزم الأحزاب، وينصر المسلمين. إذن فالرسول الأكرم في حالة حرب وشدةٍ وبأس، وحرف الباء حرف انفجاري شديدٌ مجهور، فيا لها من معادلة متوازية الأطراف.

أما فيما يسمى بدعاء الكرب " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ "[٣].فالملاحظ هنا أننا لا نشعر بذلك الموسيقى الشديدة، الذي وجدناه في الحديثين السابقين، وذلك لان السجعة التي انتهت بها الجمل هي (الياء والميم)، ومن المعلوم أن "اللام والنون والميم" من الأصوات المائعة التي لا هي بالشديدة ولا الرخوة،[٤] وذات وشيجة فيما بينها، وفي الإستعمال وفي الصفات الصوتية، كما قال ابراهيم أنيس: "هي أكثر الأصوات شيوعاً في اللغات السامية، كما أنها من الأصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين" [٥]. وهذه الصفات جعلت السجعات ملائمة لجو الدعاء الشريف، وطابعه الهادئ، كما جاء في مقدمة الحديث أن الرسول الكريم كان يردد الدعاء في حالة الكرب، ومن المعلوم أن الانسان في حالة الكرب يستسلم للقضاء والقدر الذي كتبهما الله له، فلعل هذه الانسيابية والهدوء اللذين تلمسناهما من ترديد حرفي (الياء والميم) في سجعات الحديث، ملائمة مع الإيقاع العام لدلالة العبارات، علاوةً على تكرار "لا إله إلا الله" ثلاث مرات، الذي تشعر النفس بالراحة عند سماعها، وهي في محفل محزن.

ثانياً: السجع :

لغةً:(سَجَعَ) "سجع الرجلُ:– إذا نطقَ بكلامٍ لهُ فواصلُ كقوافي الشعرِ من غير وزنٍ،.... ويسجعُ سجعاً فهو ساجعٌ وسجاغٌ، وسجاعةٌ. والحمامةُ تسجعُ سجعاً: إذا دعتْ . وهي سجوعٌ وساجعةٌ. وحمامٌ سجعٌ، وسواجعٌ"[٦]، و"السجعْ: الكلامُ المقفى، والجمعُ اسجاعٌ وأساجيعُ"[٧].

---

[١] صحيح البخاري، رقم: ٢٩٣٣، ٤٤/٤ .

[٢] الاصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ٤٥.

[٣] صحيح البخاري، رقم: ٦٣٤٦، ٧٥/٨ .

[٤] ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص٢٤.

[٥] في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة أبناء وهبة حسان، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٣م: ١٠٥.

[٦] كتاب العين، الخليل: ٢٤٤/١.

[٧] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري: ١٢٢٨/٣.

إصطلاحاً: يُعرِّف البلاغيون السجع بقولهم: هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد.[١] وهناك من ذهب الى أنه: "موالاة الكلام المنثور على روي واحد. فتجيءُ الكلمتان في آخر الفقرتين على حرفٍ معين، ليكتسب النثرُ ضرباً من الموسيقى والتنغيم، وليجاري عاطفة قائلهِ، ويثير نفس سامعهِ" [٢]. أو هو "اتفاق الفاصلتين في الحرف الاخير" [٣]. إلا أن هناك تعريفاً للدكتور منير سلطان إستخلصَهُ من بين جملة من التعريفات، فهو يرى السجع: "وصفاً لايقاع متردد في كلمتين غير داخليتين في تركيب جملة، وقد تحتوي الجملة في سياقها على كلمتين متفقتين في آخر حرف فيها، ولكنهما لا يؤذنان بانتهاء معنى، ولا يفصلان بين شطرين في الكلام ولا يحسن الوقوف عندهما، هاتان الكلمتان يعتبران "سجعاً" [٤].فقد أكد هذا التعريف على بنية السجع، ومتى يحق لنا أن نطلق على اللفظتين المتفقتين في الحرف الأخير (سجعا)، ومتى لا يحق، وهذا ما لم نجده في التعريفات السابقة. علاوة على تأكيده على الجانب الايقاعي عن طريق التردد بين الكلمتين المسجوعتين. ومصطلحُ "السجع" مصطلح قديم، والرسول صلى الله عليه وسلم لم ينه عن السجع وإنّما نهى عن التشبه بأسجاع الكهان والعرافين لأنهم يستعملون فيها ألفاظاً غامضة مبهمة حتى يؤولها السامعون حسب افهامهم، كما كانوا يكثرون فيها من الحلف بالكواكب والنجوم والرياح، ويعنون بتجميل الصياغة حتى يبلغوا ما يريدون من التأثير في نفوس الوثنيين،وكانت تطغى على أسجاعهم الصنعة والتكلف، يقول أحدُ الكهان: "والارض والسماء، والعقابالصقعاء[٥]، واقعةً ببقعاء، لقد نفر الجدُ بني العشراء، للمجد والسناء "[٦]. فهذا هو نوعالسجع المنهي عنه في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " إنّما هذا من إخوان الكهان "([٧]).

فالسجعُ: "منسجمٌ مع فصاحة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي نعى على المتشدقين المتفيهقين، وكان يكرهُ التكلف في كل شيءً، لا عجب أن يكون ما جاء من أسلوب البديع في كلامه الشريف منسجماً مع هذه المبادئ، مطبوعاً غير مصنوع..." [٨]. وكل ما جاء من كلام النبي مسجوعاً، كان يصدرُ منه بغير قصدٍ اليه" ولأجل هذا يجيء في غاية الانسجام.[٩]"فسجعه(عليه السلام) من السجع المحمود" لأنهُ جاء بانسجام واتفاق على مقتضى السجية، وكذلك وقع منه في

---

[١] ينظر: شروح التلخيص، سعد التفتازاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٤٤٧/٤.

[٢] سجع أم فواصل، د. احمد الحوفي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد ٢٧، ١٩٧١م: ١١٤.

[٣] ينظر: المصدر نفسه: ١٣٨ . وينظر: معجم البلاغة العربية: د. بدوي طبّانة، منشورات جامعة طرابلس، ط١، ١٩٧٥م: ٣٣٣ .

[٤] البديع تأصيل وتجديد، (د.ط)، ١٩٨٦م: ٤١.

[٥] صقعاء: نعامة في وسط رأسها بياض على أية حالاتها كانت، لسان العرب: ٢٠٢/٨.

[٦] البيان والتبيين، الجاحظ: ٢٨٩/١.

([٧])صحيح البخاري، ١٩/٤ .

[٨] البلاغة فنونها وافنانها علم البيان والبديع: د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع عمان – الاردن، ط١، ١٩٨٧م،٣١٩/٢.

[٩] ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١٦٧/١١.

أدعية كثيرة من غير قصدٍ لذلك، ولا اعتماد الى وقوعه موزوناً مقفى..." [١]. وإن أنت تتبعتهُ من أدعية النبي عليه الصلاة والسلام تثق كل الثقة بوجودك له على الصفةِ التي قدمت، وذلك كدعائه صلى الله عليه وسلم:" اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا "[٢] . وكدعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بِسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا "[٣]. أو كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يتعوذ مِنْ: "جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ" [٤]."فأنت لا تجدُ في جميع ما ذكرت لفظاً اجتلب من أجل السجع، ترك ما هو أحق بالمعنى منه، وأبر به، واهدى الى مذهبه..." [٥] ويُلاحظ أنَّ من سمات السجع في هذه الأدعية الشريفة أنها متساوية القرائن (أي كون القسمين متساويين)، وتُعد هذه السمة عند أصحاب صنعة الكلام من أهم أركان السجع .[٦] ، فاذا نظرنا الى الأحاديث السابقة، وجدنا المساواة بين قرائن السجع جلية وواضحة، كما هي بين: (جهد، ودرك، وسوء، وشماته) وبين (البلاء، والشقاء والقضاء والاعداء)، وفي الحديث الأول نرى تلك المساواة بين : (علم، وقلب، ونفس) وبين (لا ينفع، ولا يخشع، ولا تشبع) .

"والأصل في السجع انما هو الاعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء، والنفسُ تميلُ اليه بالطبع، ومع هذا فليس الوقوف في السجع عند الإعتدال فقط... بل ينبغي أن تكون الالفاظ المسجوعة حلوةً حادةً، طنانةً رنانة، لا غثةً ولا باردة..." [٧].بعدَ هذه المزايا الرفيعة للسجع النبوي الشريف، يصحُ أن نقولَ فيه قول د. أحمد ابراهيم موسى: "إنهُ... يؤثر في النفوس تأثير السحر، ويلعبُ بالافهام لعب الريح بالهشيم، لما يحدثهُ من النغمةِ المؤثرة، والموسيقى القوية التي تطربُ لها الأذنُ، وتهش لها النفوسُ، فتقبلُ على السماع من غير أن يداخلها مللٌ، او يخالطها فتورٌ، فيتمكن المعنى في الاذهان، ويقر في الافكار، ويعزُ لدى العقول، وكان كل أولئك مما يتوخاهُ البلغاء، ويقصدهُ ذوو البيان واللسن..." [٨].ولم يقتصر الامرُ على ورود السجع في الحديث النبوي الشريف بسموه وجماليته فحسب، بل تعداه الى أن النبي (عليه السلام) ترك في بعض الاحيان المألوف لأجل السجع، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ

---

[١] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمد بن أحمد العيني، ضبطه: عبدالله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م،١٨٧/١٧.

[٢] صحيح مسلم، رقم:٢٧٢٢، ٢٠٨٨/٤.

[٣] صحيح البخاري، رقم: ٥٧٤٥، ١٣٣/٧ .

[٤] صحيح البخاري، رقم:٦٦١٦، ١٢٦/٨ .

[٥] أسرار البلاغة،عبد القاهر الجرجاني، تعليق: احمد مصطفى المراغي بك، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط١، ١٩٤٨م:١٨.

[٦] ينظر: إحكام صنعة الكلام: أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي، تحقيق: محمد رضوان الداية، (د.ط)، دار الثقافة بيروت، لبنان، ١٩٦٦م، ص٢٤٠ .

[٧] البلاغة فنونها وافنانها، د.فضل حسن عباس، ٣٠٦/٢ .

[٨] الصبغ البديع في اللغة العربية، (د.ط)، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩م: ٤٩٧.

وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ " [١]" لأن الاصل فيها من "ألم" فهو "ملمٌ" [٢].وربما غير الكلمة عن وجهها للموازنة بين الالفاظ، واتباع الكلمة أخواتها. كقوله: "إرجعنَ مأزوراتٍ، غيرَ مأجوراتٍ"[٣]،وإنّما أراد "موزورات من الوزر. فقال مأزورات، لمكان مأجورات قصداً للتوازن وصحة التسجيع على شرط البراءة من التكلف والخلو من التعسف"[٤]. ولكن على الرغم من هذا السموّ، وهذه الرفعة التي لمسناهما في الاحاديث النبوية "يؤمن كلٌّ من قرأ في القرآن الكريم، وفي الحديث الشريف، أن بينهما من الفروق القدر الكبير، ولا سيما في الخصائص الاسلوبية والتعبيرية والفنية.وأن القرآن يختلف في هذا المستوى عن الحديث، وأن قائل هذا غير قائل ذاك" [٥].

ومن هنا نلاحظ بأنَّ "الرنة الموسيقية التي تنسابُ من الآيات تختلف اختلافاً جذرياً عن موسيقى نص الحديث. إذ أن تجزئة الفكرة الواحدة الى أجزاء، والتوازن بين الفقرات، والانسياب السهل الرقيق في التراكيب، والختم بفواصل تحملُ من الوقع الموسيقي والارتباط العضوي بالفكرة المستحدث عنها، وانسجام الضمائر، وحذف المفعول او متعلق الافعال، والتنكير في موضع التنكير، والتعريف في موطن التعريف، والتقديم في الموطن المناسب، والتأخير حين تحسُن الأخير، والزينة اللفظية والمعنوية بعض سمات الآيات. أما الحديث – على ما فيه من جمال تعبير – فلم يبلغْ الا بعض مستوى الفن التعبيري في القرآن" [٦].

---

[١] صحيح البخاري: ٢٣٩/٢.

[٢]ينظر:كتاب الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٢م: ٢٦١.

[٣] سنن ابن ماجة، الحافظ ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، (د.ت). ٥٠٣/١.

[٤] كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري، ص٢٦١، وينظر: ثمرات الأوراق في المحاضرات: تقي الدين علي بن محمد بن حجة الحموي، شرح: الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م: ٢٨١ .

[٥] أدب الحديث النبوي: الدكتور بكري الشيخ امين، دار الشروق، القاهرة، ط٤، ١٩٧٩م، ص١١.

[٦] المصدر نفسه، ص١١٦.

الخاتمة

عند إضافة الأدعية الى النبوية أو الدعاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم فإنها تشمل كلّ ما ثبت نسبته الى الرسول صلى الله عليه وسلم مما يشمله تعريف الدعاء من توحيد الله والثناءِ عليه أو ما كان فيها طلب و مَسْألة الله العفوَ والرحمة، أو ما كان مسألته من الدنيا مما يحتاجه البد من أموره الحياتية .

إنّ التحليل الصوتي في هذه الدراسة للأدعية النبوية الشريفة –بما فيها من أصوات وإيقاعات– كشف عن الجوانب الجمالية فيها، بالإضافة الى ما فيها من كشف للانفعالات النفسية وللعواطف التي تحكم مبدعها، والتي تدفعه الى إختيار أصوات وإيقاعات بعينها، وليس يخفى أنّ مادّة الصوت هي مظهر الإنفعال النفسي، وانّ هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت بما يُخرجُه فيه مدّاً أو ليناً أو شدّة، فالدعاء النبوي يتمتع بجرس صوتي أخّاذ لاتخطئه أسماع المتذوقين للأدب العالي الرفيع، ينبع من بلاغة الترتيب الكلمي، ترتيباً يتوافق وإهتزاز المشاعر أثناء الدعاء وتموجات النفس بالإيمان حين التضرع والإبتهال .قلة الصور التشبيهية والمجازية في الأدعية النبوية الشريفة، ويبدو أنّ مَرَدَّ ذلك الى عدة أمور أهمّها: أن المقام أسمى من أن يُلجأ فيه الى تصوير كاشف أو تمثيل مؤكد، فالمدعو –سبحانه– أعلم بحاجة الداعي ومطلوبه من نفسه، وأقرب إليه،وأسمع لما يدعو به من حواسه، ومنها أنّ التصوير يُستعمل لأغراض التوضيح أو التوكيد أو التزين أو خلاف ذلك، وهذه الأغراض ليست مما يناسب مقام الدعاء، وجلال المدعو وخشية الداعي. إلا أنّه ورغم ذلك فإنَّ المرّات القليلة التي تظهر فيها التصوير في الأدعية النبوية الشريفة فإنّه يُستعمل كأسلوب مميَّز من أساليب التعبير ووجهاً من أوجه الدلالة، ترتسم من خلالها المعاني عبر وسائل فنية متعددة أبرزها (التشبيه والاستعارة و الكناية)" التي هي من أبرز العناصر المكونة للصورة في نصوص الدُّعاء النبوي الشريف. وأخيراً نقول إنّ الأدعية النبوية تندرج ضمن أسلوب السهل الممتنع، وفيها صِدْقٌ قوليٌّ وقليٌّ، وإبداع لفظيٌّ أسلوبيٌّ معنويٌّ، فلا حشو في القول، ولاتدني في المعاني، ولا تعدي في الطلب، وإنما الطهر والسمو مظهر الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وقلباً وقالباً .

المصادر

١- أبو فراس الحمداني – الموقف والتشكيل الجمالي، القاضي النعمان، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ١٩٨٢م .

٢- الإتقان في علوم القرآن،جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٧٤م.

٣- إحكام صنعة الكلام، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة بيروت، لبنان، ١٩٦٦م.

٤- أدب الحديث النبوي،د. بكري الشيخ امين، ط٤، دار الشروق، القاهرة، ١٩٧٩م.

٥- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: احمد مصطفى المراغي بك، ط١، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٨م.

٦- الأسس النفسية لاساليب البلاغة العربية، د.مجيد عبدالحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٤م.

٧- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية،القاهرة،ط٥، ١٩٧٩م.

٨- إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار المنار، القاهرة ،ط١ ، ١٩٩٧م .

٩- الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، مصطفى محمود السيد، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، ط١٩٨١،١م.

١٠- البلاغة فنونها وافنانها (علم البيان والبديع): د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط١، ١٩٨٧م.

١١- البيان والتبين،لأبي عثمان عمرو بن بحربن محبوب الجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي،دار صعب، بيروت، لبنان،ط١٩٦٨،١م .

١٢- تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض مرتضى محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية،طهران،ط١، ٤٧/٣٨.

١٣- تحليل الخطاب الشعري – إستراتيجية التناص – ، محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط١٩٨٦،٢م.

١٤- التفسير البياني للقرآن الكريم،د.عائشة عبد الرحمن، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م.

١٥- التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، سمير ابراهيم وحيد العزاوي، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ٢٠٠٠م.

١٦- جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.

١٧- الحديث النبوي: مصطلحه بلاغته كتبه، محمد الصباغ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني،المكتب الإسلامي، بيروت، ط١٩٨١،٤م.

١٨- دير الملاك دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، د. محسن أطيمش، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الاعظمية، ط٢، ١٩٨٦م.

١٩- ديوان علي محمود طه المهندس، دار العودة، بيروت،١٩٨٢م.

٢٠- سر صناعة الإعراب، أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق د. حسن هنداوي، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣.

٢١- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي ، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شليبي،أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١ م.

٢٢- شأن الدعاء، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، ط٣، ١٩٩٢ م.

٢٣- الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، محمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، القاهرة ، د. ت.

٢٤-شروح التلخيص، سعد الدين التفتازاني،الجزءُ (الأولُ والثاني والثالثُ) من تصويرِ دارِ الكتبِ العلميةِ،والجزءُ (الرابعُ) من تصويرِ دارِ الهادي ، بيروت.

٢٥- الصبغ البديع في اللغة العربية: الدكتور احمد ابراهيم موسى، (د.ط)، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩م.

٢٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ، ط٤، ١٩٨٧م .

٢٧- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي الدارمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ، بيروت،ط٢، ١٩٩٣م.

٢٨- صحيح أبي عبدالله البخاري بشرح الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت،لبنان،ط١٩٨١،٢م.

٢٩- الصومعة والشرفة الحمراء – دراسة نقدية في شعر علي محمود طه، نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.

٣٠- علم الدلالة والمعجم العربي، د.عبد القادر ابو شريفة، وحسين لافي، ود. داود غطاشا، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان ، الاردن، ط١، ١٩٨٩م.

٣١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ه.

٣٢- في اللهجات العربية، ابراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية،مطبعة أبناء وهبة حسان،القاهرة،ط٣، ٢٠٠٣م.

٣٣- كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية،مصر، ١٩٥٢م.

٣٤- الكلم الطيب، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٧٧م .

٣٥- اللهجات العربية والقراءات القرآنية، دراسة في البحر المحيط ، محمد خان،دار الفجر للنشر والتوزيع،المغرب، ٢٠٠٢م.

٣٦-مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، ط/١، ١٩٩٥م .

٣٧- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١،١٩٩٦م.

٣٨- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣،١٩٩٧م.

٣٩- المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، د. عبد القادر مرعي خليل، جامعة مؤتة، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، عمان، ط١، ١٩٩٣م.

٤٠- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهلالزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شليي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٤١- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د.محمودعبد الرحمن عبد المنعم، ، جامعة الأزهر، دار الفضيلة، ١٩٩٩م.